

نفحات القرآن

[100] وثانياً : منعهم من اتّخا التقليد لآبائهم ذريعة لإرتكاب المعاصي . وأهمّ سؤال يُطرح هو : متى وقع هذا (الظهور) ؟ وبأيّة صورة تمّ ذلك ؟ وما المراد من (عالم الذرّ) ؟ وكيف تحقّق هذا الأمر ؟ هناك ستّة أقوال على الأقل للإجابة عن هذا السؤال ، وقد أيّد كلّ واحد منها جماعة من المفكّرين الإسلاميين : 1 - طريق المحدثين وأهل الظاهر حيث يقولون : أنّ المراد هو ما ورد في بعض الأحاديث من أنّ ذريّة آدم بأجمعهم قد خرجوا من طهره على شكل ذرّات دقيقة وملؤا الفضاء وكانت تتمتّع بالعقل والإحساس والقدرة على النطق ، فخطبهم الله عزّ وجلّ وسألهم : (أأستبرأكم ؟) فقالوا جميعاً : (بلى) ؛ وبذلك أخذ العهد الأوّل على التوحيد . وكان بنو الإنسان بأنفسهم شاهدين على ذلك(1) . 2 - المراد من عالم الذرّ وتفسير الآية أعلاه هو الذرّات الأولى لوجود الإنسان أي النطفة التي انتقلت من ظهور الآباء إلى أرحام الأمّهات وتبدّلت في المراحل الجنينية إلى صورة إنسان كامل تدريجياً وقد أعطاه الله عزّ وجلّ في ذلك الحال القوى والقابليات المختلفة كي تدرك حقيقة التوحيد ومنهاج الحقّ ، وقد جعل هذه الفطرة التوحيدية ملتزمة بوجوده . يذهب إلى هذا التفسير جمع من المفسّرين كمصاحب تفسير (المنار) و (في ظلال القرآن) ونقلوا ذلك عن الكثير من المفسّرين(2) . بهذا يكون (عالم الذرّ) هو عالم الجنين ويكون السؤال والجواب بلسان الحال لا القول ؛ ولهذا الأمر شواهد ونظائر كثيرة وردت في كلمات العرب

1 - يقول العلامة المجلسي في شرح أصول الكافي (مرآة العقول) عن هذه الحقيقة : (طريقة المحدثين والمتورّعين فانّهم يقولون نؤمن بظاهرها ولا نخوض فيها ، ولا نطرق فيها التوجيه والتأويل) الجزء 7 ، ص38 والفخر الرازي ينسب ذلك إلى المفسّرين والمحدثين (الجزء 15 ، ص46) . 2 - تفسير المنار : ج9 ، ص387 (تعبيره ينسجم مع القول الخامس) ، في ظلال القرآن ج3 ، ص671 .